الكشكول اللغوي (٩)

المَشيد والمُشيَّد والشِّيدُ وأشادَ وشيّدَ والشيّادُ والشَّادُّ والمُشِدُّ

أ. د. رفعت هزيم(*)

ورد لفظُ «الشِّيْد»، وهو «ما طُليَ به الحائطُ من جصٍ ونحوه»(١)، في الحديث عن بناء قريش البيت الحرام، ففيه: «كان الرجالُ ينقلون الحجارة، وكانت النساء تنقل الشِّيْد». ويبدو أنّ المبرد (ت ٢٨٦هـ) كان أسبق اللغويين إلى ذكر الجذر (ش ي د) ومشتقاته ودلالاته وثلاثة من شواهده. قال في كتابه «الكامل»: «قال طرفة بن العبد:

كقنْطرةِ الرّوميّ أقسمَ ربُّها لَتُكْتَنَفَنْ حتى تُشادَ بقرمدِ

قوله: حتى تُشادَ: تُطلى، وكُلُّ شيءٍ طليتَ به البناءَ من جِصٍ أو جيّارٍ – وهو الكِلسُ – فهو المَشيد، يُقال: دارٌ مَشِيدة وقصرٌ مَشيد...، وقال الشمّاخُ:

لا تَحْسبنّي وإنْ كنتُ امرأً غَمِرًا كَحَيّةِ الماءِ بينَ الطِّينِ والشِّيدِ

وقال عديّ بن زيدٍ العِباديّ:

شادهُ مَرمرًا وجلّلهُ كِلْـ ـسًا فَلِلطَّيْرِ في ذُراهُ وُكُورُ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) القاموس المحيط (شيد).

والمُقرمدُ: المَطليُّ أيضًا، فمن ثَمّ قال: حتى تُشادَ بقرمدٍ ؛ في معنى: حتى تُطلى»[٢].

ومن شواهده كذلك قول النابغة الذبياني:

أو دُمْيةٍ من مرمرٍ مرفوعةٍ بُنيتْ بآجُرٍّ يُشاد وقِرْمِدِ

وقوله:

فقامَ لها مِن فوقِ جُحْرٍ مُشَيَّدٍ لِيَقْتُلَها أو تُخطِئُ الكَفَّ بادِرَهْ

وقول عبد الله بن الزِّبعرى يهجو الأنصار:

حصونُ بني النجّار شِيْدٌ مُشيّدٌ بعيد المَراقي يُتعبُ النَّظرَ الشَّزْرا

فأما سببُ التسمية فقد بيّنه الثعالبي(ت٤٢٩هـ) في فصلٍ عنوانه «في تفصيل الأبنية»، قال: «...وإذا كان البناءُ مُطوّلًا فهو مُشَيّدٌ، فإذا كان معمولًا بِشِيدٍ... فهو مَشِيد»[٣].

وقال ابن منظور: «...والشَّيْدُ بالفتح: المَصْدر ؛ تقول: شادهُ يَشيدهُ شيْدًا: جصّصهُ. وبناءٌ مَشِيدٌ: مَعمولٌ بالشِّيد. وكلُّ ما أُحكمَ من البناءِ فقد شُيّدَ، وتَشييدُ البناء: إحكامهُ ورَفْعهُ...، قال تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وقال سبحانه: ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨][٤]».

ونقل صاحبُ «التاج» عن المتقدمين صيغةً أُخرى، قال: «والشِّيادُ: دلكُ الطِّيبِ بالجِلْدِ كالتَّشَيُّد»[٥].

على أنّ التدقيق في تلك الشواهد يُرجّح أن الفعل الثلاثي «شادَ»

(٢) الكامل للمبرد ١/ ٩٨.

(٣) فقه اللغة للثعالبي ٢٩٦.

(٤) لسان العرب (شيد).

(٥) تاج العروس (شيد).

استُعمل في العصر الجاهلي بمعنى «بَنى»، ولذا قال عديّ: «شادهُ مَرمرًا وجلّلهُ كِلْسا»، وأنّ الفعل المضعّف «شيّدَ» ذو دلالةٍ مشابهة ؛ فتَشييدُ البناء: إحكامهُ ورَفْعهُ.

وقد أضاف الجوهري(ت٤٠٠هـ) دلالتين أُخريين للفعل «أشادَ» متعديًا بالباء: «والإشادةُ: رفعُ الصوت بالشيء، وأشادَ بذكرهِ؛ أي: رفعَ من قدره...، وأشدتُ بالشيء: عرّفتهُ»(٦).

وعلّق ابن منظور بقوله: «ويُقال: أشادَ فلانٌ بذكر فلانٍ في الخير والشّرّ والمدح والذّم: إذا شَهّرهُ ورَفعهُ، وفي الحديث: «مَنْ أشادَ على مُسلمٍ عَوْرةً يَشينُه بها بغير حقٍ شانهُ اللهُ يومَ القيامة»، ويُقال: أشادهُ وأشادَ بهِ: إذا أشاعهُ ورَفعَ ذِكرهُ مِن أشدتُ البنيانَ، فهو مُشادٌ، وشيّدتهُ: إذا طوّلتَهُ»(٧).

ومن شواهد «أشادَ» متعديًا بالباء لهاتين الدلالتين قول عمر بن أبي ربيعة:

عَشيّة قالتْ: قد أشادَ بِسِرّنا وسِرّكُمُ مَجرى الدُموع الذَّوارفِ

وقول جرير:

خَليليَّ ماذا تأمراني بحاجةٍ ولولا الحياءُ قد أشادَ بها صَدري

وقول بشّار:

لقد تركَ الفؤادُ لتلكَ وُدًّا وسؤلًا لا يشيدُ به مُشيدُ

وقول البحتري:

قومٌ أشادَ بِعلياهمْ وَوَرَّثهُمْ كسرى بن هُرمزَ مَجدًا واضحَ السَّننِ

وورد بصيغة اسم الفاعل قي قول أحدهم يذكر النَّبيذَ ومقابح السُّكْر:

(٦) الصحاح (شيد).

(٧) اللسان (شود).

هـو المُشـيدُ بأسـرار الرِّجـالِ فمـا يَخفى على النّاس ما قالوا وما فعلـوا[٨]

ولكن المتنبي أورد - وهو يصف انتصـار عضـد الدولـة البـويهي علـى أحد خصومه - أربع صيغٍ اسميّة مشتقة من هذا اللفظ:

فـلا مُشـاد ولا مُشـيد حَمـى ولا مَشـيد أغنـى ولا شـائدْ

وقـد ذكـر شـارحو الـديوان أن المُشـاد هـو البنـاءُ المرفـوعُ المُطـوَّلُ، والمُشـيد هـو المُعلـي للبنـاء، والمَشـيد هـو المطلـيُّ بالشِّـيد؛ أي: الجـصّ، والشائد فاعل منه، والمعنى: لم يكن البناءُ ولا الباني حِمى للخصم؛ أيْ: لـم تُغنِ عنهُ قلعتُهُ ولا جُندُهُ»[٩].

ووردت صيغةُ «التشاييد» في قول شاعرٍ يمنيٍّ مخضرم:

وفـوقَ الـدّعْكَرَيْنِ لنـا قُصـورٌ تشـاييدُ الشـرامحةِ الطِـوالِ

وهو يصف قصور قومه في ذلك الموضع بأنها من تشييد أولئك القوم الطوال.

والظاهر أن استعمال «تَفاعيل» جمعًا للمصدر «تفعيـل» فـي العلـوم لـم يكن نادرًا عند المتقدمين، فقد ذكر منه ابـن الهيـثم(ت٤٢٥هـ) عـالم الفلـك والرياضـيات والبصـريات فـي كتابـه «المنـاظر»: «التخـاطيط» و«التـزايين» و«التزاويق» جمعًا لـ: «التخطيط» و«التزيين» و«التزويـق»[١٠]، ويقـال اليـوم: «التراكيب» و«التفاصيل» و«التصانيف»...

والطريف أنّ البويهيين أحبّوا ألقاب الأُمراء المركّبة تركيبًا إضافيًّا نحـو: «عضد الدولة» و«مُعزّ الدولة» و«ركن الدولـة» فأضـافوا إليهـا لقـب «مشـيد الدولة»، وكان منهم أحدُ أولاد معزّ الدولة (ت٣٥٥هـ).

(٨) الأشربة لابن قتيبة ٣٣.

(٩) ديوان المتنبي.

(١٠) الكتابة العلمية: خسارة ٢١٧.

وقد تنبّه المستشرقون إلى لفظ «الشِّيد»، فأشار فرنكل إلى وروده عند المتقدمين، وبيّن أن الفعلين «شادَ» و«شَيّدَ» مشتقان منه، وذكر أن اللفظ معروف بصيغتي seidâ في السريانية وsîd في العبرية وsîdâ في الآرامية اليهودية، وكلّها بالسين المهملة، واستبعد رأي «غويدي» القائل: إن العربية أخذته من الآرامية[١١]، ولم يخالفه نولدكه الذي بيّن أن العبرية اشتقّتِ الفعل من الاسم[١٢]. وهذا يعني أن اللفظ ليس دخيلًا في العربية، بل هو من المشترك في الساميّة الغربية؛ لأنه لايرد في الأكادية. ولو نظرنا في شواهده في العبرية لوجدنا أنه يرد في ثلاثةٍ من أسفار «العهد القديم» وهي: التثنية ٢٧/ ٢+٢٧/ ٤ وإشعياء ٣٣/ ١٢ وعاموس ٢/ ١[١٣]، في حين لا يرد في السريانية إلا في سفري عاموس والتكوين١١/ ٣؛ أي: أن هاتين اللغتين تتفقان في عاموس وحده. ومردّ ذلك إلى أن السريانية تستعمل مرادفه «kelŠâ = الكلس» في سفرَيِ التثنية وإشعياء في حين تستعمل العبرية مرادفه «ḥemar=الحُمَر» في سفر التكوين، واشتقت السريانية منه – كما يقول بروكلمان – الاسم sayyâdâ[١٤]. ويُلاحظُ أن لفظ «الشيد» يرد في موضعٍ واحد في النسخة العربية من «الكتاب المقدس»: «تُقيمُ لِنفْسكَ حِجارةً كبيرةً وتَشيدها بالشّيد» (التثنية ٢٧/ ٢)، وحلّ محلّه «كلّسَ بالكلس» في سفرَيْ إشعياء وعاموس، و«الحُمَر» في التكوين[١٥].

(١١) Fraenkel 8.

(١٢) Nöldeke: Beiträge p.44.

(١٣) KBL 1230.

(١٤) Brockelmann 469.

(١٥) الكتاب المقدس.

ولم يكن لفظ «الشِّيد» ومشتقاته مقصورًا على اللغات المذكورة، فقد ورد في النبطية الاسم Šyd' - بالشين المعجمة- في خاتمة نقشٍ من البتراء صفةً للكاتب، فلمّا وصل النقشُ إلى نولدكه قرأهُ هكذا: «فلانٌ الشّيّاد»(١٦). والغريب أن هذه الصيغة لم ترد - فيما أعلم - في العربية، ولكنها وردت بصيغة مماثلة في السريانية: sayyâdâ - بالسين المهملة - وقد ترجمها القرداحي إلى «الشيّاد؛ أي: الذي يطلي بالشِّيد»(١٧)!.

ويشيع اليوم لدى المختصين بالآثار الإسلامية وصفهم جامعًا أو مقامًا أو تُربةً أو مدرسةً بأنه «مُشيّدة» أيوبيةٌ أو سلجوقية أو مملوكيةٌ، ولكن انتقال هذا اللفظ من الوصفية إلى الاسمية معروف في تلك العصور. ومن شواهده قول أحدهم في «المدرسة النظامية» التي بناها الوزير السلجوقي نظام الملك (ت٤٨٦هـ) في بغداد:

مُشيّدةٌ تتيهُ على الليالي بأعجب منظرٍ حسنٍ جميلِ

وثمّة لفظان آخران ذوا دلالةٍ مختلفة لم يكونا معروفين قبل العصر المملوكي ؛ فقد ظهرَ «الشّادّ» اسمًا لصاحب وظيفة، إذ يُضافُ اللفظُ إلى اسم الوظيفة، نحو: شادّ السلاح خانه/ الزرد خانه (=بيت السلاح السلطاني)، أو الشراب خانه (=بيت الشراب السلطاني)، أو الركاب خانه (=بيت الركائب السلطاني)، أو الطبلخانه (=الفرقة الموسيقية السلطانية)(١٨)، وذكر القلقشندي أنها «تكونُ لأميرٍ من أكابر أُمراء المئين الخاصكيّة المؤتمنين»، واشتقّهُ من الفعل «شَدَّ»، ومثاله: «شدَّ الشراب خاناه»(١٩).

(١٦) Nöldeke pp181-187.

(١٧) اللباب٨٠٤.

(١٨) المعجم الجامع١٢٣-١٢٤.

(١٩) صبح الأعشى٤/ ٩+٤/ ٢٢.

واستُعمِلَ في العصر نفسه في مصر والشام واليمن لفظُ «المُشِدّ» لقبًا لبعض الأُمراء الذين ذكرهم النويري في «نهاية الأرب»، وأبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر»، والصفدي في «أعيان العصر»، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» وسواهم، وهو مرادف السابق[٢٠]، ويخالفه في الاستعمال، فلا يردُ مضافًا، بل يقال: فلانٌ المُشدُّ، وقد غلبَ على الشاعر ابن قزل(٦٥٦هـ) فعُرف بـ«سيف الدّين المُشدّ»، وعلى الأمير المملوكي المسعودي المشد (ت٦٩٥هـ).

واختلفَ المحدثون في أصل هذين اللفظين فقال بعضهم: إن الأوّل «من شَدَّ الدواوين؛ أي: فتّشها وضبطَ حساباتها»، أما المُشدُّ فهو «رئيس الورشة أو الجند الذي يراقبهم ويشُدُّ همّتهم في العمل والسَّير للقتال...وتُسمّى هذه الوظيفة: الشادّيّة»[٢١]. وقد وردت هذه الدلالة في بعض المصادر المذكورة، فأخبرتنا بأن سيف الدّين المُشدّ تولّى شدَّ الدواوين بدمشق، وأنّ الأمير المسعودي وُلّيَ الشدَّ في الدولة الأشرفية، ولكن «شَدَّ» بمعنى «فتّشَ» لم ترد – فيما أعلم- في معاجم العربية قديمًا وحديثًا؛ وقال آخرون: إنه مغوليٌّ معرّب[٢٢] دون بيان لأصله وكيفية استعماله في بلاد المغول!

الخلاصة:

وهكذا ينتهي البحثُ والتدقيق في هذه المجموعة من الألفاظ إلى تصنيفها في ضربين:

(٢٠) المعجم الجامع١٢٣.

(٢١) معجم دهمان ٩٥ +١٣٩.

(٢٢) المعجم الجامع١٢٣.

الأوّل: الشِّيْدُ؛ أي: الجصّ، وهو لفظٌ مشترك بين العربية والآرامية اليهودية والسريانية والعبرية، واشتقوا منه: شادهُ يَشيدهُ شيْدًا: جصّصهُ. وبناءٌ مَشِيدٌ: مَعمولٌ بالشِّيد، واتسعت دلالته، فقالوا: شادَ البناءَ: بناهُ، وكلُّ ما أُحكمَ من البناءِ فقد شُيّدَ، وتَشييدُ البناء: إحكامهُ ورَفْعهُ، وجعلوا «مُشيّدة» اسمًا لذلك البناءِ، والفاعل منه: الشائدُ والمُشِيْد والمُشَيِّدُ والشّيّادُ، وصاغوا «تشاييد» جمعًا لـ «تشييد»، واشتقوا منه كذلك «أشادَ» متعديًا بالباء، وأشدتُ بالشيء: عرّفتهُ، واتسعت دلالته فقالوا: أشادَ بذكرهِ؛ أي: رفعَ من قدره.

والثاني: الشادُّ والمُشدُّ، وهما مصطلحان بمعنى «المفتّش» أو «المُدير» ظهرا في العصر المملوكي، ويرد أحدهما مضافًا إلى أحد البيوت السلطانية، نحو: شادُّ السلاح خانه (=بيت السلاح السلطاني)، ويرد الآخر منفردًا ؛ يُقال: فلانٌ المُشدُّ، وتُسمّى هذه الوظيفة «الشادّيّة»؛ وقد اختلفَ المحدثون في أصلهما ؛ قيل: إنه عربيّ من: شَدَّ الدواوين؛ أي: فتّشها وضبطَ حساباتها، أو من شَدَّ الهمّة، وقيل: هو مغوليٌّ معرّب.

* * *

المصادر والمراجع

- **بالعربية:**
- الأشربة: ابن قتيبة.
- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، ١-٤٠، الكويت (١٩٦٥-٢٠٠١).

- تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت ١٩٧٩.
- شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت د.ت.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشندي، بيروت ١٩٨٧.
- الصحاح ← تاج اللغة.
- فقه اللغة وأسرار العربيّة: الثعالبي، أبو منصور، تحقيق محمد إبراهيم سليم، القاهرة ١٩٩٧.
- الكامل في اللغة والأدب: المبرّد، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم والسيّد شحاته، القاهرة١٩٥٦.
- الكتاب المقدّس: دار الكتاب المقدس، القاهرة ١٩٧٠.
- الكتابة العلمية...: كتاب المناظر لابن الهيثم نموذجًا: ممدوح خسارة، في: التعريب٤٠(٢٠١١) ص٢٠٥-٢٤٥.
- اللباب: قاموس سرياني عربي، جبرائيل القرداحي، ط٢ حلب ١٩٩٤.
- لسان العرب: ابن منظور، بيروت، د.ت.
- معجم الألفاظ التاريخيّة في العصر المملوكي: محمد أحمد دهمان، دمشق ١٩٩٠.
- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية: حسن حلاق وعباس صباغ، بيروت ١٩٩٩.

- باللغات الأجنبية:

- Brockelmann,k.: Lexicon Syriacum.1928, Neud.Hildesheim 1966
- Fraenkel , S.: Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen. Leiden

1886 , Neud. 1982

- KBL = L. Koehler & W. Baumgartner: Hebräishes und Aramäisches Lexikon zum Alten Testament. 3 Auflage. Leiden 1967- 1995
- Nöldeke , Th.: Beiträge und Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft. 1910 Neud. Amsterdam 1982
- Nöldeke:Zeitschrift der Ass. 23, 1909 , pp 181-187